يوصل الي الهلاك ولما كان ذلك ربما ظن لفرط عبادتهم قال وكانوا مستبصرين
اي معدودين بين الناس من البصراء العقلاء. ولما كان فرعون ومن ذكر معه من العتو
بمكان لا يخفي لما اوتوا من القوة بالاموال والرجال قال وقارون اي اهلكناه
وقومه لانه وقع في اسباب الهلاك اعجب لكونه من بني اسرائيل ولانه ابتلي
بالمال والعلم فكان ذلك سبب اعجابه فتكبر علي موسي وهرون عليهما السلام
فكان ذلك سبب هلاكه وفرعون وهامان وزيره الذي اوقد له علي الطين
فباع سعادته بكونه ذنبا لغيره ولقد جاءهم من قبل موسي بالبينات اي
بالحجج الظاهرات التي لم تدع لبسا فاستكبروا اي تطلبوا ان يكونوا اكبر من
كل كبير بان كانت افعالهم افعال من يطلب ذلك في الارض بعد مجيء
موسي عليه السلام اليهم اكثر مما كانوا قبله وما كانوا سابقين اي
فايتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا اي احد ٣ اخذنا بذنبه صح
عقوبة ليعلم انه لا احد يعجزنا فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا
فيها حصبا كقوم لوط وعاد ومنهم من اخذته الصيحة اي التي تظهر
شدتها الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فرجف لعظمتها الارض
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض بان غيبناه فيها كقارون
وجماعته ومنهم من اغرقنا بالغمر في الماء كقوم نوح وفرعون وقومه
وعذاب قوم صالح المعد في الاعراف والمعد في الخسف فتارة تهلك
بريح تقذف بالحجارة كقوم لوط او من الارض كعاد وما كان الله
اي الذي لا شيء من الجلال والكمال الا له . ليظلمهم
اي فيعذبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم اي لا غيرها يظلمون
بارتكاب المعاصي ولم يقبلوا النصح من عجزهم ولا يخافوا العقوبة
علي ضعفهم ولما بين تعالي انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب
اجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالي اتخاذه ذلك معبودا كاتخاذ
العنكبوت بيتا فقال مثل الذين اتخذوا اي تكلفوا اي اتخذوا من
دون الله اي الذي لا كفو له ورضوا بالدون الذي لا ينفع ولا يضر
عمن لا تكتنفه الاوهام والظنون اولياء ينصرونهم بزعمهم من معبودات
وعزها في الضعف والهون كمثل العنكبوت اي الدابة المعروفة
ذات الارجل الكثيرة الطوال اتخذت بيتا اي تكلفت اخذه في صنعها
له ليقيها الردى او تحميها البلاء كما تكلف هؤلاء اصطناع اربابهم
لينفعوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها في امرها
وتعبها الشديد في شانها بيته في غاية الوهن وان اي والحال ان
اوهن البيوت اي اضعفها لبيت العنكبوت لا يدفع عنها حرا ولا
بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها لو كانوا يعلمون اي لو كانوا

يعلمون انما هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن وايضا انه
اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين
ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي لو كان لهم نوع من العلم
لانتفعوا به فعلموا ان هذا مثلهم فابعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله
ولقايل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الي المؤمن
الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الي رجل يبني
بيتا باجر وجص او ينحته من صخر كما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان فان قيل لم مثل تعالي باتخاذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها
اجيب بان نسجها فيه فايدة ولولاه لما حصلت وهو اصطياد الذباب
من غير ان يفوتها ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو اقل
من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار
الاخرة التي هي خير وابقي فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت تنبيه
نون العنكبوت اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه علي عناكب
وتصغيره عنيكب ويذكر ويؤنث فمن التانيث قوله تعالي اتخذت
ومن التذكير قول القايل .
علي هطالهم منهم بيوت . كان العنكبوت هو ابتناها .
وهذا مطرد في اسما الاجناس تذكر وتونث وقرا ورش وابو عمرو وحفص
البيوت بضم البا والباقون بكسرها ولما كان ضرب المثل بالشيء لا يصح الا
من العالم بذلك الشيء قال تعالي ان الله اي الذي له صفات الكمال ان
الله اي الذي يعلم ما يدعون اي يعبدون من دونه اي غيره من شيء اي
سوا كان منها ام انسيا ام جنيا وهو العزيز في ملكه الحكيم في
صنعه وقرا ابو عمرو وعاصم يدعون بالياء التحتية والباقون بالفوقية
ولما ذكر مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كانه قيل علي وجه التعظيم
لهذا المثل هذا مثلهم فعطف عليه قوله تعالي اشارة الي امثال القران
كلها تعظيما لها وتنبيها علي جليل قدرها وعلو قدرها وعلو شانها
وتلك الامثال اي العالية عن ان تنال بنوع احتيال ثم استانف
قوله تعالي نضربها اي بما لنا من العظمة بيانا للناس اي تصويرا
للمعاني المعقولات بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا
بها وهكذا حال التشبيهات كلها هي طرق للافهام الي المعاني
المحتجبة في الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها وروي ان الكفار
قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات
كالذباب والبعوض والعنكبوت فقال تعالي جهلا لهم وما يعقلها

Copyright King Saud University